

## المظاهرات في الجزائر: ماذا تعني لمستقبل النخبة والدولة

كريم ميزران وإيرين نيل

يبدو أن النخبة الجزائرية تفتقد لحظة ليوباردية - في إشارة إلى رواية النمر The Leopard، والتي أصبحت ضمن أدبيات علم السياسة، وتعتبر هذه الرواية عن فكر محورية، وهي أن النخب لا بد أن تتغير حتى تحافظ على بقائها كنخبة. في هذه الرواية، يقوم البارون الكبير بتوبيخ ابن أخيه لأنه انضم للقوات التي كانت تعمل تحت قيادة الجنرال الثوري جاريبالدي، من أجل الإطاحة بالنظام الذي ينتمون إليه، البارون وابن أخيه. وكانت إجابة ابن الأخ هي "لو أننا نريد أن يظل كل شيء كما هو، فإنه من الضروري أن يتغير كل شيء." كان يجب عليه أن ينضم للقوات الثورية وهو في موقف قوة، من أجل أن يؤثر على عملية التغيير في النظام، ولكن في نفس الوقت يحمي سلطة العائلة في نظام النخبة الجديد.

تجد النخبة الجزائرية- والمعروفة أيضاً بـ "البوفوار the Pouvoir" بين الجزائريين - في نفس موقف البارون. إن كل هذه الأمور، ولأنها الذي امتد لعقود لجبهة التحرير وحرب الاستقلال، وبدرجات مختلفة الولاء لقيم الصراع ضد الإسلاميين أثناء الحرب الأهلية، ليس لها أهمية بالنسبة لغالبية الشباب الجزائري، الذي يمثل الآن 60% من سكان الجزائر. لقد أصبح من الواضح، ليس فقط منذ مظاهرات 2011 - والتي تم احتوائها من جانب البوفوار من خلال وعود بإصلاحات ودستورية واصلاحات على مستوى الحكم - ولكن في المظاهرات الأخيرة التي تشهدها الجزائر أن هذه المجموعة من الشباب لم تعد تثق في حجج النظام المزعومة.

باعتبارها أكبر دول القار الافريقية من حيث المساحة والانفاق العسكري، بلا شك، تلعب الجزائر دوراً مهماً في عملية الاستقرار في منطقة البحر المتوسط. ولكن، إن التوترات داخل الدولة - بين النخبة والجماهير وأيضاً داخل النخبة نفسها - تمثل وصفاً مثالية لكثرة، على الأقل على المدى الطويل. إن موقع الجزائر ومواردها يجعلها عملاق إقليمياً، إلا أن النظام أصبح ضعيفاً.

شهدت الجزائر العديد من المظاهرات في الأعوام الماضية، ولكن النظام استطاع أن يحتويها، أو يصورها على أنها ذات طبيعة بدائية تفتقد أي تصور. هذه المظاهرات قامت بها مهن معينة مثل المدرسين والأطباء، والذين طالبوا بتحسين المرتبات والحوافز الوظيفية. تحليل طبيعة مكونات المظاهرات الأخيرة وطبيعة المطالب تُظهر أن، على عكس السنوات القليلة الماضية، الناس الذين نزلوا إلى الشوارع لديهم مطالب سياسية محددة، من ضمنها عدم ترشح الرئيس الحالي عبد العزيز بوتفليقة للمرة الخامسة، وتغيير ضمني في النظام. من أجل مجابهة هذه المظاهرات، قام النظام - مثله مثل الدول العربية الأخرى في مواجهتها في الانتفاضات الشعبية - بقطع الانترنت في العديد من أنحاء الجزائر. المزيد من المظاهرات مخطط لها في الأول من الأول مارس/آذار والثالث من مارس/آذار. إن تصوير المظاهرات باعتبارها عديمة الجدوى، وباعتبارها مطالب من جانب جزء صغير من السكان من أجل إصلاحات اقتصادية هو خطأ كبير.

هناك اضطراب داخلي بين مكونات الحكومة الاوليغاركية. إلا أن الأمر الأكثر ضغطاً هو ما يحدث داخل النخبة. في عام 2018، كان هناك عدد غير مسبوق من الاعتقالات، وابعاد العديد من الجنرالات الكبار وغيرهم داخل المؤسسة العسكرية وقوات الأمن. القليل منهم تم الإفراج عنهم مؤخراً من أجل الحصول على تأييد المؤسسة العسكرية قبل الانتخابات الرئاسية في أبريل/نيسان. إن ابعاد شخصيات في الجيش هو أمر معتاد في الجزائر، ولكن معدل الزيادة في هذه الإبعادات لكبار المسؤولين بهذا العدد يُظهر تحول في اتجاه تركيز أكبر للسلطة في أيدي الشخصية الأكبر: الرئيس والدائرة الشخصية المقربة له. إن هذه التحركات التي تسبق مباشرة الانتخابات، وفي مثل هذا المناخ المفتوح، تلقي الضوء على ما تحاول النخبة إخفائه طول القوت: وجود انقسام عميق داخل الطبقة الحاكمة. إن السؤال الذي يتم طرحه في العواصم الغربية يمكن حتى هذه النقطة اعتباره ابتذال: هل الجزائر على حافة السقوط.

إن التنبؤات تبدو صعبة للغاية، خاصة في ظل التعامل مع واقع معقد مثل ما هو موجود في الجزائر اليوم. ولكن البنية المغلقة للبوفاور، وعدم قدرتها على اصلاح نفسها ينضوي على الكثير من التشاؤم. إن حقيقة عدم قدرة النخبة على التوافق على شخصية يمكن أن تخلف الرئيس بوتفليقة، هو أمر إشكالي للغاية. لو أن النخب قضت بعض الوقت والطاقة تحارب في بعضها البعض، ولا تبالي بسخط والتوترات المتصاعدة بين السكان بصورة كبيرة، ربما سوف يواجهون مفاجأة كبيرة.

إن اغفال النظام لفكرة أن من الممكن أن تكون هناك ثورة جماهيرية بحجة أن السكان المتعبين - باعتبارهم غير راغبين في الثورة بعد المذابح وسفك الدماء الذي حدث أثناء الحرب الأهلية في التسعينيات - لم تعد صالحة للاستخدام. في الحقيقة، جزء كبير من السكان الشباب ولدوا في هذا العقد وهم صغار بما فيه الكفاية لتذكر أي شيء متعلق بالحرب الأهلية. على العكس من ذلك، هم على وعي تام بالموقف الحالي والكثير منهم لا يحبه.

بالإضافة إلى التوترات المتزايدة وعدم صبر السكان مع موقف الرئيس بوتفليقة، فإن عمل الحكومة الرئيسي لمعالجة المظالم الرئيسية غير فعال. انخفاض أسعار البترول في عام 2014 أدى إلى انخفاض عوائد الجزائر الأجنبية بحوالي 50% بحلول عام 2018 - [العودة](#) إلى مستويات 2006 - على الرغم من ارتفاع مكاسب البترول. وفي رد فعل للصعوبات المالية، فإن الجزائر قامت بخفض المصروفات عن طريق حظر مؤقت للواردات، وتجميد التوظيف العام ومشروعات التنمية، واتخاذ إجراءات من أجل تشجيع إنفاق أقل على الطاقة. إن النخبة الجزائرية كانت دوما معارضة لفكرة فتح قطاع النفط أمام الاستثمار الدولي، حتى في ظل الواقع المالي في فترة ما بعد 2014، فإن الدولة لم تقم بأي جهود من أجل تقليل الاعتماد على عوائد الطاقة. كلا العاملين أضعفوا من السيولة التي تمتلكها الحكومة، والتي كانت تعتمد عليها في الاستمرار في الحكم بصورة سلطوية. إن التظاهرات الصغيرة على المستوى المحلي والاضرابات التي [استمرت](#) في عام 2018، خاصة خارج العاصمة والضغوط تتراكم على النظام.

الانتخابات القادمة في ابريل أو عودة بوتفليقة من سويسرا، حيث يتلقى [الرعاية الصحية](#) المعتادة، هما عاملين خطيرين في حياة الحكومة الجزائرية. إن الزعم من جانب المجموعة المقربة من بوتفليقة، والتي يسيطر عليها أخيه سعيد، أنه بمجرد إعادة انتخاب بوتفليقة فإن النخبة سوف تقوم بعمل إصلاحات سياسية واقتصادية جادة، لم يعد له مردود إيجابي بين الشعب. ليس فقط بسبب أن هذا الوعد قد تكرر في كل مرحلة من مراحل النظام (في 2011 و 2013 و 2015 و 2017)، إلا أن مظاهرات شهر فبراير/شباط في الجزائر تُظهر بوضوح أن جزء من السكان لم يعد يصدق هذه الوعود. إنهم يطالبون ليس بعدم ترشح بوتفليقة، ولكن إيجاد شخص يمكن فعليا أن يقوم بتنفيذ الإصلاحات المطلوبة. لو أن المظاهرات استمرت، ليس هناك شك في أن رد فعل النخب يمكن أن يكون عنيفاً. في هذه الحالة، فإنه لا يمكن التنبؤ برد فعل المتظاهرين.

إنه من الوهم حتى تمنى أن يكون لدى النخب أي نية لتغيير النظام بصورة راديكالية نحو نظام أكثر تعددية ودمجاً في هذا الوقت القصير. من أجل الاجابة على السؤال الذي تم طرحه في الأعلى: أنه لتبسيط القول بأن الجزائر تسير في اتجاه مصير نظرائها من الدول العربية، في اتجاه مزيد من الفوضى والتمرد والشرعية والمقاومة العنيفة، وأنها يمكن أن تكون أحد دول "الشتاء العربي". ولكنه أيضا من المستحيل تجاهل الإشارات الواضحة بأن النخبة الجزائرية تضيق الخناق.

---

كريم ميزران: كبير باحثين في مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط بالمجلس الأطلسي. يمكن متابعته على تويتر [@mezrank](#).

إيرين نيل: مساعدة باحث في مركز رفيق الحريري للشرق الأوسط. يمكن متابعته على تويتر [@erinaneale](#).